الاستكشافات البرتغالية

كان البرتغاليون قد نزلوا الى ساحة الاستكشافات الجغرافية قبل غيرهم من الاوربيين رغم ان مدينة جنوا الايطالية قد سبقتهم في هذه المحاولة الجريئة رغبة منها في الوصول الى توابل الهند دون الحاجة للتجار العرب الذين يفرضون اموالا خرافية على سعر التوابل لكن محاولاتهم لم تنجح وباءت بالفشل وكانت اخر هذه المحاولات هي محاولة البحار الايطالي فيفا لدي عام ١٢٩١م الذي حاول ان يصل الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح لكن محاولته قد باءت بالفشل.

ان بداية الاستكشافات الجغرافية البرتغالية ترتبط بأسم مشهور جدا كان العامل المساعد في قيام هذه الاستكشافات الا وهو (هنري الملاح) ابن ملك البرتغال الذي ولد عام ١٣٩٤م وتوفي عام١٤٦٠م.

اختلطت المعلومات التاريخية على الكثير من المؤرخين فقد خلطوا بين مساعدة الاستكشافات وبين القيام بها ولكونه عاملا مساعدا في هذه الاستكشافات تصور هؤلاء المؤرخون ان هنري الملاح كان ملاحا فعلا. والحقيقة المذهلة ان هنري الملاح هذا لم يكن يجيد السباحة بل انه لم يركب البحر ابدا ولكنه كان بحق شغوفا بالاستكشافات الجغرافية وطموحا جدا من اجل تحقيق حلم البرتغال في السيطرة على افريقيا.

لذلك قام ببناء مرسى لبناء السفن واسس مدرسة بحرية في ذلك المرسى وجلب اليها خيرة البحارة في العالم والذين كانوا هم البحارة الايطاليين في جنوا والبندقية ومن خلال اطلاعه على كتاب الرحالة الاوربي ماركوبولو الذي وصل الى الصين في القرن الثالث عشر اراد هنري الملاح ان يصل الى الهند والى الصين عن طريق البحر.

لذلك بدأ هنري الملاح تطلعاته في تشجيع الملك البرتغالي لاحتلال الجانب الغربي من افريقيا وبدأ هذا الاحتلال بالسيطرة على الساحل المغربي الشمالي والغربي وقد توغلت القوات البرتغالية في الساحل الغربي الافريقي حتى وصلوا في عام ١٤٤٦ م الى السنغال.

وفي العام الذي تلاه تم السيطرة على ساحل غانا وسيطروا على سيراليون لكنهم لم يجدوا التوابل والذهب في هذه الاماكن لذلك بدأوا بتجارة جديدة الا وهي احتجاز السكان العبيد ونقلهم الى اوربا ليباعوا في سوق النخاسة.

وقد جنت البرتغال اموالا طائلة جدا من هذه التجارة رغم ان هدف الاستكشافات المعلن من قبل الملك البرتغالي جون الاول وابنه هنري الملاح كان هو الوصول الى الهند ونشر المسيحية في المناطق الافريقية ولكن الواقع العملي اثبت ان البرتغاليين لم يكسبوا وثنيا واحدا في افريقيا الى المسيحية بل انهم باعوا الالوف من الافارقة في اوربا.

ان نقطة التحول الاولى في تاريخ الاستكشافات البرتغالية كان هو عام ١٤٧١م عندما اجتازت الاساطيل البرتغالية خط الاستواء الذي لم يصل اليه قبلهم من الاوربيين.

اما الشخصية الثانية المهمة في تاريخ الاستكشافات البرتغالية فقد كان هو البحار (يرتلوميو دياز) الذي وصل الى رأس الرجاء الصالح وعندما اجتازه واجهته الزوابع البحرية ولكن اصر على الانطلاق فيه الى الشمال كي يصل الى بحر العرب ولكن بحارة الحملة رفضوا الاستمرار وحصل تمرد وقتال بين البحارة اضطر على اثره ديازمن العودة الى لشبونة عاصمة البرتغال ليشرح للملك جون الثاني كيفية الوصول

الى هذه النقطة التي استدارت بها السفن حول افريقيا والتي اصبحت السفن تسير والقارة الافريقية الى غرب البحر بعد ان كان يسير والقارة في شرق البحر.

وقد سمى دياز هذه المنطقة التي استدار منها في جنوب افريقيا برأس الزوابع لانه واجهة الزوابع فيها ولكن الملك جون الثاني قال هذه التسمية خاطئة فهذا ليس رأسا للزوابع بل هو رأس للخير والامال والطموحات التي ستحصل البرتغال من خلالها على الهند لذلك سماه الملك برأس الرجاء الصالح.

اما الشخصية الثالثة والمهمة في تاريخ الاستكشافات البرتغالية فقد كان البحارة (فاسكو دي كاما) هذا الشخص الذي استطاع ان يحقق احلام البرتغاليين في الوصول الى الهند بعد ان حقق البرتغاليون هدفهم الاهم في اكتشاف رأس الرجاء الصالح من قبل البحار دياز عام ١٤٨٨م.

ولكن الظروف السياسية حالت دون ارسال بعثة اخرى لاكمال النجاح الذي حققه دياز ولكن عام ١٤٩٨م كان عاما حاسما وخطيرا في حياة البرتغال ففي السنة التي سبقتهاحاولت اسبانيا المنافس التقليدي للبرتغال ان تصل عن طريق الغرب الى الهند لان البرتغاليين كانوا قد سيطروا على طريق الهند الشرقي من خلال سيطرتهم على ساحل افريقيا واقاموا فيها قلاعا وحصونا عسكرية برتغالية تمنع اي سفينة اوربية من التقرب من الساحل الافريقي الذي اصبح ساحلا برتغاليا.

لذلك فكر الملك البرتغالي عمانوئيل الثاني ان يرسل حملة كبيرة مجهزة بكل ما تحتاجه من اجل الدوران حول رأس الرجاء الصالح للوصول الى الهند وكانت الحملة بقيادة فاسكو دي كاما عام ١٤٩٨م وقد عبرت الحملة رأس الرجاء الصالح بعد ستة اشهر من ابحارها ووصلت الى المحيط الهندي الى شواطىء موزنبيق في الساحل الشرقي لافريقيا وهنا توقفت الحملة البرتغالية من الاستمرار في الابحار لان الطريق

الى الهند من هناك لم يكن يعرفه البرتغاليون فقد كان العرب هم المسيطرون والمحتكرون لهذا المحيط ولا احد غيرهم يعرف طريق الهند من افريقيا وهنا ظهرت المعية وذكاء فاسكو دي كاما حيث اقنع العرب هناك بضرورة مساعدته في الوصول الى الهند لاسباب علمية وجغرافية فقط وقد تعاطف العرب معه بسبب الحجج التي اوردها ولم يكن يعرفون الهدف الحقيقي لهذه الحملة وما ستدره عليهم من مشاكل وخسائر.

لهذا تطوع البحارة العربي احمد بن ماجد لايصال الحملة البرتغالية من ساحل افريقيا الشرقي الى الهند وقد وصلت الحملة بقيادة ابن ماجد في عام ١٤٩٩م وقد توغلت هذه الحملة بالساحل القريب وحملت السفن التوابل الموجودة هنالك في الهند والتي كانت اربع سفن فقط.

وقام دي كاما بدراسة كلكتا الميناء الرئيسي في الهند والذي رست السفن البرتغالية فيه. وبعد دراسة المنطقة لمدة ثلاثة اشهر عاد البرتغاليون الى لشبونه ليحملوا الى ملكهم بشرى اكتشاف وامتلاك اغنى كنز في العالم الا وهو الهند ويكفي ان نقول ان حمولة سفينة واحدة من هذه السفن من التوابل قد غطت نفقات الاسطول البرتغالي على مدى سنوات طويلة.

بعد هذا النصر العظيم ارسلت البرتغال جيوشها في عام ١٥٠٠م لتسيطر على كل الساحل الشرقي لافريقيا والساحل الجنوبي للجزيرة العربية والساحل الغربي للهند بل انهم سيطروا على كل الخليج العربي وقد قاموا ببناء القلاع على كل هذه السواحل او الخليج العربي او بحر العرب حتى تبقى التوابل تجارة برتغالية.

وبذلك انتهى عصر التجارة الذهبي للعرب حيث احتكر البرتغاليون تجارة التوابل الغالية وقتل عشرات الالاف من العرب والافارقه والهنود الذين كانوا يعيشون على

البحر صيدا او تجارة ليطلع هؤلاء الناس على اولى رياح الاستعمار الاوربي والتي كانت حارة جدا وسامة ايضا.